# هـــذا مـــا فعله قراصنة القبـــور!

بقلم: مارك فيشر
ترجمة: بشرى الهلالي

**"بعد ثلاث سنوات من الدمار والسرقة اللذين تعرضت لهما ثروات العراق القديمة، مازال مهد الحضارات ينهب، انها كارثة"..هذا ماقاله وزير الفنون السابق مارك فيشر..**

"اللصوص يجردون المتحف العراقي من ثروته"، قالت النيويورك تايمز في ١٣ نيسان في ٢٠٠٣، عندما سقط النظام. وفي اليوم التالي صرح مصدر مستقل بأن "اعدادا كبيرة من المدنيين العراقيين اقتحموا المتحف العراقي وهربوا ما قيمته ٧٠٠٠٠ قطعة اثرية ثمينة". وانضمت وسائل الإعلام الى الآثاريين في ادانة الرئيس بوش والولايات المتحدة. قارنت اليانور روبنسون-عضو مجلس في المدرسة البريطانية للآثار في العراق- امريكا تحت ادارة بوش بالحملات المغولية،والدمار الذي لحق بالمتحف مع ذلك الذي لحق بمكتبة الإسكندرية في القرن الخامس الميلادي.اما رئيس المعهد الدولي للآثار فقد قال بان الولايات المتحدة مذنبة بارتكاب "جريمة ضد الإنسانية". وكونت الانتربول لجنة عمل لتعقب ملكية آثار العراق المسروقة، ونظمت اليونسكو اجتماعات للخبراء وارسلت الولايات المتحدة لجنة عمل متعددة الوكالات للتحقيق، وكانت اللجنة تضم متخصصين من الCIA والFBI وجهاز الأمن الدبلوماسي في منظمة الهجرة والسلوك الأمريكية والتي كانت تعمل تحت قيادة الكولونيل ماثيو بودانوس، مساعد اول لادعاء عام المقاطعة من مانهاتن. حيث اعلن بودانوس عن عفو عام نتج عنه اعادة بعض القطع بصورة بطيئة، وضمت القطع المعادة واحدة من اجمل واهم القطع الثمينة: اناء الوركاء من المرمر والتي نحتت في اوروك قبل ٥٠٠٠ سنة واعيدت الآن مع ١٤ قطعة في حقيبة بلاستيكية متهرئة.. تخبرنا صور هذا الإناء الكثير حول الحياة في بلاد الرافدين القديمة وتعرض مشاهد من الزراعة والحياة والطقوس الدينية. كما تمت استعادة قطع اخرى في غارات منها نصب بلاستيكي ونصب نحاسي مع جزء اسفل يمثل رجلاً يمسك معياراً او اطار باب، كان مخبأ في بالوعة.

على اثر اعلان هذه النجاحات، وتقييم الخسارات الكلية التي قدرت بـ١٥٠٠٠ قطعة اثرية، تغيرت لهجة الإعلام وحلت الراحة والقليل من الرضا، محل الفزع. دافيد ايرونوفيش كتب في هذه الصحيفة بان" المشكلة الوحيدة فيما يخص التقارير- ان المتحف سرق امام عيون المدنيين، او من قبل المدنيين انفسهم - هذا هو الهراء بعينه، ليس صحيحا،لقد تم اختلاقه.. انه كلام فارغ". ان سرقة المتحف الوطني العراقي، انزلقت من الرؤوس وتسللت تدريجيا الى الأطراف.وكانت النتيجة الخراب والأذى الذي بدا واضحا والذي لحق بالتراث العراقي على امتداد البلد. حطمت بعض القطع الرئيسة في المتحف الوطني،الكبيرة والثقيلة والتي لايمكن تحريكها.. وفي الموصل سرقت ١٦ لوحاً من البرونز الآشوري (القرن التاسع ق.م) بالإضافة الى الواح مسمارية. اما في بغداد فقد احرقت المكتبة الوطنية وبناية أرشيف الدولة ونهبت مجموعات الفن العراقي والأوربي الحديث، ومن ضمنها اعمال بيكاسو وميركوت.

ومازاد الأمر خطورة هو تحطيم الآثار العراقية،، ففي مهد الحضارات حيث تم تشخيص ١٠٠٠٠ موقع مثير للاهتمام، نقب منها فقط ١٥٠٠ موقع، لم تكن هذه المواقع محمية من اللصوص وما تزال كذلك. رئيس الأنتربول، ويلي ديربير، قال ان هذه المواقع، خصوصا تلك التي في الجنوب مثل - الزقورة التي تعود الى ٤٠٠٠سنة ق.م -من المستحيل حمايتها.

طلبت قوات التحالف اقامة معسكرات في بابل واور وضمن المواقع الآثارية القديمة.. ففي بابل تستغل القوات الأمريكية مساحة٣٠٠٠٠٠ متر مربع وتغطي الأرض بالحصى المضغوط من اجل تخصيص موقف للعربات العسكرية وذلك بالقرب من المسرح اليوناني للإسكندر المقدوني. كما اقتطعت مساحة كبيرة في قلب اعمال الحفريات الآثارية لإقامة دزينة من الخنادق، عمق كل منها ١٧٠م، محطمة بذلك أي دليل آثاري قد تجده الحفريات.. اضافة الى انشاء مطار هليكوبتر في قلب بابل القديمة. ومن اجل ان يتم كل هذا، على البلدوزرات ان تحفر الأرض،وعليهم ان يغطوا الأرض بالاف الأكياس من رمال هيسكو، والتي صنعت خصيصا في شركة التجهيزات المعالجة الخاصة الأمريكية) من اجل تدعيم التحصينات.. اما التربة التي ازيلت على اثر عمليات الحفر هذه فقد بعثرت محتوياتها واستأصلت الى الأبد.. والأسوأ من ذلك، عندما تقوم حاويات هيسكو تقوم بحفر التربة وجلبها من مواقع اخرى، فانها تصنع حساءً غالي الثمن من المواد الآثارية قد تفرز عملية نخله في منخل ضخم ثروة لايستهان بها. والآن وبعد انتهاء الوجود العسكري، مازال مطار الهليكوبتر يستعمل من اجل طلعات جوية يومية تهز اساس جدران بابل القديمة بوحشية مما ادى الى انهيار جدار مقبرة نابو وسقف مقبرة نمف الذي يعود الى القرن السادس قبل الميلاد. ومع ذلك لا يزال هنالك معسكر في الجنوب في بقايا مدينة اور القديمة، المكان الذي نقب من قبل ليونارد وولي في العشرينيات. بينما تحطمت مواقع المدن السومرية المجاورة (لكش، اوروك،ولارسا) بقوة على ايدي اللصوص الذين شبههم احد الشهود بانهم عناصر الطبيعة المدمرة.. فقد قام العراقيون انفسهم بحفر الأرض على عمق ٥ أمتار تقريبا.. قاموا بحراثة الأرض ليلا من اجل البحث عن الأنتيكات المحمولة القابلة للبيع.ولم تنجو اوما -في الصحراء شمال الناصرية، واحد اهم المواقع السومرية الاحتفالية -من الأضرار الجسيمة.. هذا الموقع الذي لم يتم تنقيبه رسميا حتى عام ١٩٩٦ نهب تماما.. كان بامكان هذا الموقع اخبارنا عن الفترة - ماقبل الاكدية -لذا فالخسارة جسيمة ولايمكن تعويضها.

ما مدى اهمية كل هذا للعراقيين؟ لقد ضرب الضرر قلب حضارتهم وتاريخهم، فبالرغم من ان المتحف العراقي تأسس في عام ١٩٢٣،الا انه المؤسسة الوحيدة التي يتشارك بها كل العراقيين، من دون اعتبار للدين او أي شئ آخر، لقد حاولوا من خلاله ايجاد هوية وطنية مشتركة لهم.. وفوق كل هذا تتميز هذه المواقع باهمية عالمية: ففي هذه المواقع دفنت جذور الحضارة الغربية، (خط التأثير الفلسفي، العلمي، الأدبي والفني) وكل الخطوط التي انتقلت الى بلاد الرافدين من خلال روما واثينا ومن ثم الينا... هنا في هذا المكان ولدت (كتابة التاريخ)- في بابل، في جنوب العراق- فقد اخترعت الكتابة قبل ٥٠٠٠ سنة،عندما كانت المسمارية، تحفر على الواح الطين وعن طريقها انتقلت الينا الأفكار، والإنجازات والسجلات. في اراضي وادي الرافدين الخصبة، نستطيع تعقب انجازات الإنسان القديم،على الأقل،لما يزيد على ١٠٠٠٠ سنة.. مثل انجازات الزراعة المبكرة الأولى في نيمرك، حضارة العبيد -٧٠٠٠ سنة - مضت وكذلك فترة حكم الملك السومري كلكامش الذي كان مصدر الهام (ملحمة كلكامش) - التي تعود الى ما قبل ٢٠٠٠سنة ق.م، والتي تعتبر واحدة من اهم الأعمال الأدبية، والتي كتبت على ١١ لوحاً مسمارياً -ومن خلالها تعرفنا على اولى التقديرات للفيضان العظيم.اننا، قبل ١٥٠ سنة فقط بدأنا باسترجاع هذا التاريخ، وتسجيل الانجازات المدهشة للإمبراطوريتين السومرية والأكدية التي تلتها. لدينا في اللوفر، في متحف فيلادلفيا وفي متحف اشمولين والمتحف البريطاني، لمحات من تطور حضارة اور والقبور الملكية: عجائب بلاط ساردون في كورسباد، النصب ذي الثيران المجنحة، اسد الصيد لآشور بانيبال.. يبين الكثير عن البلاط الشمالي في نينفيه. ورغم عظمة هذه الثروات، الا انها تعتبر متواضعة اذا ما قورنت مع تلك التي كانت موجودة في المتحف الوطني ببغداد: اسد ستيلا من اوروك،رأس الملك البرونزي -الملك العظيم نارام سن-الذي فقد عينيه الآن. نحت العاج الملوث الذي يعرف على انه مونـاليزا النمرود، وقد اعيدهذا الأخير ثانية كما حدث له في ٦١٢ ق.م عندما هوجمت النمرود وطرح هذا الرأس في بئر وظل مغمورا بالمياه الى ٢٥٠٠ سنة تقريبا. وتم خزن هذا الرأس بالإضافة الى ذهب النمرود المستخرج من قبور الملكات الآشوريات، في مدافن "امينة" في البنك المركزي ببغداد. وهكذا تجنب النهب لكنه لم ينجو من الدمار الذي لحقه جراء الفيضان المائي الذي سببه اغراق البنك المركزي بـ٥٠٠٠٠٠ طن من الماء.. والذي يبدو انه كان متعمدا لمنع صدام حسين واولاده من سرقتها والهروب معها.

في ٢٠٠٣، وعندما بدأ اجتياح قوات التحالف، كان هنالك وقت كاف لأخذ الخطوات لحماية الثروات العراقية، نفس الوقت الذي قامت فيه جمعية الآثار العالمية بتقديم طلبات الى حكومتي واشنطن ولندن للحفاظ على التراث العراقي،الاف من الأشياء ازيلت وحفظت في اماكن امينة، لكن الرجاء الذي قدم الى بوش وبلير تم تجاهله. عندما اجتيحت بغداد في نيسان ٢٠٠٣ ظل المتحف العراقي بدون حراسة لعدة ايام وكذلك بقية المواقع الآثارية.

ما الذي قد نتعلمه من هذه الأحداث غير السارة؟ ما الذي يمكن عمله؟ اسست اليونسكو لجنة دولية مؤلفة من ٣٠ بلداً برئاسة الدكتور جون كيرتس،ممثل المملكة المتحدة، والمسؤول عن القسم الغربي القديم في المتحف البريطاني. وفي تشرين الثاني، وافقت اللجنة على ضرورة اصدار اتفاقية مستقلة خاصة باصلاح الأضرار التي لحقت ببابل، ولكن امريكا رفضت التعاون الا في حالة تنفيذ هذه الاتفاقية تحت سلطة الأمريكيين وباستخدام خبراء ومستشارين امريكيين.

اما فيما يخص الجانب الأمني في المواقع الأثرية، فيتفق الأغلبية على ان اعمال "الفلاحة" انتهت، وعلى الحراس الآن استعادة اعمالهم مع وجوب رفع رواتبهم. وفي الوضع المثالي، يجب توفير رقابة جوية فوق اكثر المواقع اهمية، وهنا ايضا، لن يكون تعاون امريكا اكيدا. يجب ان يتخذ فعل ما لايقاف التصدير غير الشرعي للقطع المسروقة من المتحف والمواقع الآثارية. هناك اتفاق عام مع تقييم مدير المتحف، دوني جورج، بان ايران وتركيا "غير المتعاونتين" هما السوق السوداء الرئيسة وان اغلب القطع الآثارية المصدرة تمر عبرها الى سويسرا التي تعتبر رابع اكبر سوق لتجارة الفن في العالم والتي تصر على الاستمرار في رفض التصديق على اتفاقية اليونسكو للعام ١٩٧٠ الخاصة بحضر التصدير غير الشرعي للأعمال الفنية.

في الأجل المتوسط،فان مسؤولية اعادة تأسيس المتحف العراقي والمواقع الآثارية من المفترض ان تقع على كاهل الحكومة العراقية. اعلن حديثا عن اعادة هيكلة وزارة الثقافة وتقسيمها الى اربعة أقسام (المتحف، التنقيب، المحادثة والمعرفة المترجمة). وسوف يقدم كل قسم تقريراً الى الوزير.

وما يخيفنا كثيرا ان "١٠٠٠٠ سنة من التاريخ الإنساني تم محوه" كان يمكن لهذا ان لا يحدث، لكن كارثة اخرى لا يمكن تفاديها في المستقبل في حال عدم اعتراف امريكا وانكلترا بالضرر الذي سببته الحرب وتقبل كل منهما مسؤوليتها عنه. ربما كانوا سيربحون اكثر من قراءة ملحمة كلكامش، فهي ككل القصائد العظيمة، تتحدث عن الحكمة والخلود. وبطلها لا يفهم الفرق بين القوة والتكبر، بمهاجمته للوحش، جلب الدمار لنفسه.

هذه المقالة من قضية فبراير من الدليل على الرقابة، ومارك فيشر هو مؤلف (المتاحف والقاعات الفنية البريطانية).

عن: الغارديان

# لا تقفوا صامتين.. إبنكم السومري يستنجد!!

كفاح عبد المجيد

**إنها ببساطة.. قصة إنهيار مرعب لعائلة عراقية أصيلة.. عائلة الخبير الآثاري المعروف (كامل علوان شهاب العبيدي) المعروف بـ(أبو كامليا).. لأن إرهابياً كان يدعي إن الجهاد هو زرع عبوة ناسفة في أحد الشوارع، ليحقق حلمه البطولي ألا وهو تحطيم مركز للشرطة في حي الإعلام... فما كان منه إلا أن حطم هذه العائلة النموذجية المسالمة!!**

- في ليلة واحدة تغير كل شيء.. (هكذا بدأت أم كامليا حديثها معنا.. وآثار الرعب والحزن، تتناوب على ملامح وجهها الجميل الدافئ.. وهي تستذكر الماضي).

- لا يزال صوت العصف في أذني.. ورائحة الحريق في فمي..! لقد تحطم كل شيء.

- المهم نحمد الله على سلامتكم.

- أي سلامة؟ انظروا إلى زوجي.. إن شدة العصف، وكثافة الأبخرة التي استنشقها، مع هول الكارثة، ملأت حنجرته قيحاً.. وانشطت ورما خبيثاً داخل حنجرته.. مما حدا الأطباء المختصين إلى استئصالها مع أجزاء من حباله الصوتية. لم أتصور يوما ما، إن قوى الشر بهذه القوة والجبروت، فبينما يجاهد (المجاهدون) لتحطيم بيتي وحرق كل أملاكي.. وزرع الفوضى في كل زاوية من شارعنا.. يتسلل ذلك الورم الخبيث بهدوء ليخنق صوت زوجي الحبيب.. وفي اللحظة نفسها يقف الجميع صامتين مكتوفي الأيدي.. عاجزين عن المساعدة.. إن جل ما أخشاه هو انتصار الأشرار.

- لا اتصور ذلك.. فالخير هو الأبقى... أين أجريتم عملية استئصال الحنجرة؟

- في مستشفى خاص.. حيث اعتذر مستشفى الطب النووي من إجرائها بحجة خطورة إجرائها في ظل استمرار ارتفاع ضغط دمه.. في حين تمت في المستشفى الخاص! ولقد كلفتنا ٤ ملايين دينار عراقي.. لم يكن المبلغ موجوداً لدينا حيث احترق كل شيء مع الأثاث، إنه دين بذمتنا وعلينا تسديده، اليوم نحن نعيش أزمة عسيرة.. ليس ذلك فحسب، علينا أن نستمر بعلاجه الكيمياوي! ونحن لا نملك شيئاً.. سوى إيماننا بقوة الحياة.. وبنفسها. وبتاريخ زوجي المشهود. نحن بحاجة إلى دعم كتلة الخير في هذا العالم. إن كان الخير هو الأبقى كما تقولون.

كانت نظرات الأستاذ كامل تتوجه صوبنا. وجمال يشع من وجهه الملتحي برغم الأنابيب الطبية التي التفت بقسوة على حنجرته. استطاع أن يواصل الحوار معنا عبر القلم والدفتر. فطلبنا منه أن يوجز لنا اهم أعماله في مجال الآثار والاستكشافات. فما كان منه إلا ذلك:

الاسم الكامل: كامل علوان شهاب العبيدي، من مواليد ١٩٣٩ خريج كلية الآداب قسم الآثار لعام ١٩٦٣-,١٩٦٤

- بدأت حياتي كمشرف تربوي. وسافرت إلى المغرب والسعودية لمدة ٤ سنوات للعمل كتدريسي. بعدها رجعت إلى الوطن، وعملت خبيراً ومنقباً للآثار في جميع أرجاء البلاد. أينما بزغت حضارة، وأينما أبدع أجدادنا الأوائل، سلالاتنا البشرية.

ومن أهم أعمالي التي اتشرف كثيراً بإنجازها.. هي استخراج كنز بابل الذي يعتبر ثاني كنز في العراق بعد المقبرة الملكية. وبرغم فرحتي الكبيرة بهذا الإنجاز. لم يتم تكريمي بحجة شن الحرب العراقية الإيرانية.

عملت في منطقة (أبو الصلابيخ) وهي مدينة سومرية قديمة منذ عهد فجر السلالات. عملنا لمدة ٣ مواسم مع الخبير الإنكليزي المشهور البروفسور بوس كيت المعروف بـ(أبو لورنس) رئيس قسم الدراسات الشرقية القديمة في جامعة كامبردج.. وكان الصديق المفضل لي ولعائلتي. وضيفاً رشيقاً طالما استقبله بيتي هذا.

ثم عملت مع الخبير الألماني (دت مان) لمدة موسمين في عدة مواقع.. منها الوركاء لعام ١٩٨٣ مع البعثة الألمانية. حيث قمنا بتحديد خارطة لمدينة الوركاء التي رسمت منذ عام ١٨٩٩ وتعرضت أجزاء منها للاندثار. ولقد عانينا الكثير في هذا الموقع من السلطة السابقة. لأسباب أمنية لم نكن ندرك حينها أي تفسير لها! إضافة إلى العمل معاً مع البروفسور دت مان في آشور وسامراء. وكنا نقيم مختبرات تحليلية في المواقع التي يتم استكشافها، لترميم الأثر وصيانته وتصويره ومن ثم نشر الوثائق الخاصة به.

تعاونت مع المنقب البلجيكي كاش والبروفسور ماير رئيس جمعية الصداقة العراقية - البلجيكية في تل الدير في اليوسفية حيث قدموا لي كتاب شكر لشدة إخلاصي في العمل وحرصي الشديد على الآثار جاء في مقدمته على ما أذكر "الآثاري الحقيقي هو من يعمل كثيراً". وعملت في المدائن وسلمان باك مع الهيئة الإيطالية روبرتا / من جامعة كورنيو للتنقيب عن مدينة سلوقيا إضافة إلى عملي الذي أتشوق لإكماله مع البروفسورة الأمريكية الزابيث ستون في موقع أم الضواري.. وهي مدينة من العهد البابلي القديم وتسمى مدينة الكاهن حيث سقطت على يد حمورابي عند توحيد العراق. اكتشفت حديثاً من قبل البعثة الأمريكية برئاسة البروفسورة اليزابيث ستون ولا تزال البحوث مستمرة بها حتى الآن. حيث طلبت البروفسورة من رئيس هيئة الآثار في عام ٢٠٠٥ بتعيني أستاذاً في جامعة الموصل أو أربيل لتنظيم قسم الآثار فيه. وإقامة دورات تدريبية لصيانة الآثار للطلبة. ولكني اعتذرت لسوء صحتي. برغم رغبتي الشديدة للعمل.

عملت رئيساً لبعثة عام ١٩٨٦ للتنقيب عن الآثار في منطقة قرب جسر ديالى حيث عقدت الحكومة عونها لإقامة محطة شرق بغداد فيها، والذي توقف العمل لتنفيذه لاكتشافنا منطقة آثارية بالقرب منها.

وعملت خبيراً لصيانة متحف رشيد عالي الكيلاني الذي تأسس عام ,١٩٤٨ أحلت على التقاعد مرغماً ولم أبلغ المدة القانونية وذلك لضغوطا إدارية، وبهذا القرار شعرت بإحباط كبير من قبل الحكومة لعدم تقييمي وتكريمي. وبرغم ذلك.. كانت الهيئات والبعثات الأجنبية تصر على العمل معي. فما كان مني إلا الاستمرار بالعمل بأجور يومية! فعملت معهم لمدة ٥ سنوات في التل البغدادي وفي مدينة سبار في اليوسفية. إضافة إلى التنقيب في مدينة تكريت. حينها طلبت الحكومة السورية العمل معها كخبير لاكتشاف وتنقيب مناطق محددة لأراضيها. حيث استجبت لطلبها. إن شهرتي التي اكتسبتها في هذا المجال لم تكن لمجرد كوني منقباً فحسب. بل كنت محللاً للأثر الفني ورساماً وموثقاً أميناً. إن دقتي في التعامل مع الأثر تكمن بحسن التعامل مع الطبقة الجيولوجية التي يسكن بداخلها. والحذر الشديد عند استخلاص الكنوز الرميمة بعيداً عن تهشيم أي جزء منها. وهذا ما أثار إعجاب الخبراء بي وجعلهم يصرون على العمل معي. إضافة إلى حسن التعامل مع حضاراتهم، كرد فعل لحسن التعامل الذي يبدونه هم تجاه حضارتنا. نشرت أكثر بحوثي ونتائج تنقيباتي في المجلة السومرية الدورية التابعة لهيئة الآثار.

توقف قلم أبو (كمليا) عن الكلام. وانزوى يتصفح البوم صور ليستعيد ذكرياته مع رفاقه الخبراء، وصور كنوزه المستكشفة.. ما منحنا فرصة لتفقد بيته المبعثر. وأمام مكتبته المنثورة. استوقفنا تمثالاً لإنسان سومري. رافعاً سبابته المبتورة أثر القصف. بدا لنا إنساناً غاضباً محتجاً. بل يبدو لنا إننا اشتركنا بسماع صوت حجارته وهي تخاطبنا: أي حضارة حديثة تدعون. وكيف تؤسسون لعدل، وتزرعون خيراً، إن قابلتم كل عطاءاته لكم من كنوز استخرجها. بالصمت والجفاء؟ منحكم كنز بابل الثمين.. فمنحتموه عبوة ناسفة لعينة منحكم مثالاً عراقياً رائعاً للتفاعل مع بقية الحضارات. فمنحتموه صمتا عاريا أخجل أجدادكم الأوائل منذ فجر السلالات وحتى يومكم هذا.

مدوا له يد المساعدة.. امنحوه فرصة للعلاج بأسلوب يليق به وبشخصه الكريم. لقد بتر الشر حنجرته وصوته. فلا تدعوا الشر يبتر حناجركم وأصواتكم. كونوا صوته.

حدث وحديث

# لغز يحتاج الى حل

مفيد الصافي

**لماذا لم تتم المحافظة على متحف الآثار وهو على ما هو عليه من اهمية وموقعه يتوسط بغداد؟ ومن كان مسؤولا عليه في وقت سقوط النظام، ام ان علينا ان نلقي اللوم كله على الاحتلال وان لا نهتم نحن بمعرفة الحقيقة.....**

كتب الكثير عما حدث وسوف يكتب المزيد، وكل الوقائع السالفة واللاحقة تثير الشكوك والظنون، فهل كانت عملية سرقة نحو ٧٠ الف قطعة أثرية ثمينة من المتحف العراقي من فعل سراق عاديين، وجدوا الأبواب مفتوحة لهم ،وكأنه جزء من الفلم المأساوي لما حدث من عمليات السلب والنهب بعد الاحتلال، أم إن من سرق تاريخ العراق القديم هم من سرقوا اكثر من ثلاثين عاما من حاضره، أكان الأمر كله مجرد نزوة جنونية أم أنها جريمة بشعة اعد لها بليل اسود من قلوب من خطط ونفذ، لكي يقال أن (المغول الجدد) قاموا وفعلوا كيت وكذا.

من يفكك خطوط السيناريو الذي رسم باحكام، سوف يعرف الحقيقة في سرقة المتحف العراقي، فكل الادلة تشير الى أيد خفية وراء سرقة العشرات من القطع الأثرية النفيسة التي لا تقدر بثمن. الكل يعلم ان الحرب الاخيرة التي حدثت بين النظام والاميركان سبقتها تحضيرات كثيرة من النظام السابق نفسه وكلنا عشناها، فمن حفر الخنادق ووضع اكداس التراب في تقاطعات الطرق وعلى الارصفة ، إلى المحاولات الفاشلة في التقليل من اصابة اهداف قصفتها الطائرات الاميركية وذلك بأ يقاد نيران نفطية وإثارة دخان كثيف ملأ أجواء بغداد، والى تفريغ محتويات الوزارات.... وشاهدنا كيف نقلت مئات الاجهزة والمعدات ونقل محتويات الوزارات والمصانع، وكثير من هذه المواد مازال مفقودا، أشياء كثيرة ربما ستتكشف بعد فترة، ولكن السؤال الذي يهمنا . لماذا لم تتم المحافظة على متحف الآثار وهو على ما هو عليه من اهمية وموقعه يتوسط بغداد؟ ومن كان مسؤولا عليه في وقت سقوط النظام، ام ان علينا ان نلقي اللوم كله على الاحتلال وان لا نهتم نحن بمعرفة الحقيقة.....

ذكر ماثيو بودانوس المسؤول الأميركي الذي اشرف على اعادة بعض القطع الاثرية -في مقالة ترجمتها ونشرتها المدى في عام ٢٠٠٤- عن تلك الشكوك، ان مدير المتحف السابق وقت سقوط النظام كان من أقرباء صدام، وان القطع التي سرقت، تمت سرقتها بعناية وخبرة. ولقد وجد في احدى القاعات ان القطع التي كانت موضوعة على رفوف عالية تمت سرقتها بينما تركت القطع القريبة من متناول اليد! مما يدل على ان من سرقها يعرف قيمتها. لقد تمكن هذا الرجل وبمساعدة العراقيين الطيبين من استعادة قطع اثرية مهمة، ومن اهمها اناء الوركاء المعمول من المرمر والذي تظهر عليه صور من الحياة في بلاد الرافدين القديمة.

في احدى زياراتي الى هيئة التراث والاثار همست لي احدى الموظفات المنزعجات شيئا من أسرار ما حدث ذلك اليوم، وكيف اشترك قسم من المسؤولين في المتحف،والذين لم تتم محاسبتهم، لماذا؟ لأنهم ما زالوا يحتلون نفس المواقع التي كانوا يسيطرون عليها وقت النظام السابق، ولم يتعرضوا إلى اية مساءلة! كفى صمتا! فأن ما حدث لم يكن مجرد اقتحام عدد كبير من (العابثين) الى المتحف وسرقة محتوياته بل كان مؤامرة ابتدأت من الرؤوس وتسللت تدريجيا إلى الأطراف.